بسم الله الرحمن الرحيم

**شرح رياض الصالحين**

**شرح حديث أَبي موسى الأشعريِّ -رضي الله عنه- "ائْذَنْ لَه وبشِّرْه بالجنَّةِ"**

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي باب "استحباب التبشير بالخير" أورد المصنف -رحمه الله- حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال: لألزمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولأكونن معه يومي هذا، فجاء المسجد فسأل عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: وجّه هاهنا، وجّه هاهنا: أي توجه من هذه الناحية، ذهب بهذا الاتجاه، قال: فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- بئر أريس: ليس المقصود دخل البئر، وإنما دخل الحائط، يعني البستان الذي فيه البئر، وبئر أريس معروف في ناحية قباء، وهو الذي ضاع فيه خاتم النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما كان على عثمان -رضي الله عنه وأرضاه-، يقول: فجلست عند الباب حتى قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حاجته، وتوضأ، فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس، وتوسط قُفّها وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر، يعني: قضى النبي -صلى الله عليه وسلم- حاجته كان الناس في ذلك الوقت يأتون هذه النواحي، هذه الأماكن، وجاء إلى البئر -عليه الصلاة والسلام- يقول: فجلست عند الباب -يعني ينتظر تأدباً- حتى قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حاجته، وتوضأ فقمت إليه فإذا هو قد جلس على بئر أريس، لاحظوا هنا أن أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه- حينما خرج من بيته توضأ، ولم يذكر أنه صلى، ما جاء ليصلي، ما جاء إلى المسجد، وحينما قضى النبي -صلى الله عليه وسلم- حاجته أيضاً توضأ ولم يتوضأ للصلاة، وإنما جلس على قُفّ البئر، فيؤخذ من هذا أن الإنسان إذا أراد أن يخرج من بيته أو قضى حاجته أنه يحسن أن يتوضأ، يعني يحرص المؤمن دائماً أن يكون على طهارة؛ لأنه لا يخلو ولا ينفك من ذكر الله -تبارك وتعالى-، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((فإني كرهت أن أذكر الله إلا وأنا على طهر))، الذكر وردّ السلام، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض مراته لم يرد السلام حتى ضرب بكفيه الحائط، تيمم يعني ثم رد السلام، مع أنه يجوز للإنسان أن يرد السلام وأن يذكر الله -تبارك وتعالى- على كل أحواله من طهارة وغيرها، ولكن الأفضل والأكمل أن يكون على طهارة.

يقول: وتوسط قُفَّها، القُفّ هو البناء الذي يكون حول البئر، فجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- في واسطتها، وكشف عن ساقيه، وهذا يدل على أن ذلك ليس بعيب وأن الساق ليست بعورة، ودلاهما في البئر، "فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب"، يعني جعل من نفسه بواباً لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقلت: "لأكونن بواب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليوم"، وفي بعض الروايات أنه قال: ((ولم يأمرني))، وفي بعضها: أنه أمره أن يكون كذلك، يعني أن يلزم الباب أو يمسك الباب أو نحو ذلك، فيمكن أن يكون -والله تعالى أعلم- أنه قال ذلك في نفسه ثم أمره به النبي -صلى الله عليه وسلم- لما عزم عليه، ويمكن أن يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- أمره بذلك حينما كان يقضي حاجته، أراد أن يقضي حاجته، ولم يأمره بمداومة ولا ملازمة، وإنما بقي هو كذلك من نفسه، يقول: فقلت: لأكونن بواب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اليوم، فجاء أبو بكر -رضي الله عنه- فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، وهذا أدب في الاستئذان أن الإنسان يذكر اسمه إذا قيل من؟ لا يقول: أنا، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد كره ذلك، وقال لمن أجابه بهذا الجواب: ((أنا، أنا))، لأن ذلك لا يفيد، قال: أبو بكر، وكذلك لا يذكر اسماً مبهماً غير معروف أو كنية غير معروفة، لكنّ أبا بكر -رضي الله عنه- إذا قال: أبو بكر، عُرف، وتوجه ذلك إليه، لكن أحياناً يتصل شخص أو يرسل لك رسالة، وإن كان هذا ليس من باب الاستئذان، لكن أحياناً من باب الاستئذان، ويقول: أبو مصعب، من أبو مصعب؟ نعرف مشايخ وعلماء يكنون بأبي مصعب، ثم تفاجأ بأنه طالب في المتوسط، يعني مع احترامي للجميع لكن أيضاً ما يدريني أن كنيته هي هذه أبو مصعب، من أبو مصعب؟ كثير الذين يكنون بهذا الاسم، ويرسل عدة رسائل، أريد أن أقابلك، أريد أن أحادثك، أريد أن أتصل عليك، أرجو أن ترد، أخوك أبو مصعب، من هو أبو مصعب؟ ثم تفاجأ أنه شاب صغير لا يُعرف لا باسمه ولا بكنيته، أبو مصعب، فالشاهد أن الإنسان يذكر ما يُعرف به، الشيء الذي يعرفه الناس به، أنا فلان بن فلان، لا يأتي بألغاز، أو بشيء مبهم يلتبس على الآخرين.

"فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك"، يعني على مهلك انتظر، "ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة))"، وهذا الشاهد: التبشير بالخير، بالأمور السارة.

"فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين النبي -صلى الله عليه وسلم-"، وهذه بشرى تعدل الدنيا وما فيها، لا يمكن أن يضاهيها شيء من هذه الدنيا، تصور لو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: أبشر بالجنة، كيف يكون حال الإنسان؟ وكيف يطير من الفرح؟ لا يستطيع أن ينام، يطير من الفرح، **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}** [يونس:58]، واليمين أشرف من غيره، فتخير هذا المكان، وهو اللائق بأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أن يكون عن يمين رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا زال الناس يراعون هذا إلى اليوم، تجد الكبراء ونحو ذلك لا يجلس الناس عندهم إلا بعناية، يعني هذا المكان مخصص لفلان، وهذا المكان مخصص لفلان، ووُضع قصداً يعني ما تأتي اتفاقاً، يقول: فجلس عن يمين النبي -صلى الله عليه وسلم- معه في القُفّ، -وعرفنا القُفّ- ودلّى رجليه في البئر كما صنع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكشف عن ساقيه، أبو بكر بماذا بلغ؟ بماذا وصل إلى هذا المستوى حتى صار الصديق، والصديق هو من كمل صدقه -يعني أنه صادق دائماً، يقول الله: **{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}** [التوبة:119]-، ومَن كمل تصديقه؟، ما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئاً إلا قال: صدق، لما ذكروا له قصة المعراج، وظنوا أنه سيكذب بذلك، قال: "إن كان قال فقد صدق"، فلقب بالصديق، كثير الصدق وكثير التصديق، **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}** [النساء:69] فأبو بكر هو رأس الصديقين، ومريم قال الله عنها -أم عيسى -عليه الصلاة والسلام-: **{وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ}** [المائدة:75]، فالشاهد هنا أن أبا بكر جلس على القُف ودلّى رجليه في البئر كما صنع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكشف عن ساقيه، يعني اقتدى بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الأمور العادية، طريقة الجلوس، الكشف عن الساقين، تدلية الرجلين في البئر، فبهذا وصل، فما بالنا نرى اليوم بعض من ينتسب للدعوة إلى الله، أو ينتسب إلى طلب العلم، وللأسف يجادل في بعض القضايا: اللحية أصلًا في خلاف في الأخذ منها، ولا تزال هذه اللحية تتقاصر شيئاً فشيئاً على تقاصر ما في قلبه حتى تتلاشى فأين هذا؟ بماذا بلغ أبو بكر -رضي الله عنه- هذه المنزلة؟، والثوب يبدأ يطول، ويطول، ويطول، يا فلان، قال: المسألة خلافية، والنووي -رحمه الله- قال كذا، ويجلس يجادل ما الذي أصابك، وما الذي غيرك، لم تكن كذلك من قبل؟! أين الاقتداء برسول الله -عليه الصلاة والسلام-: **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}** [الأحزاب:21]؟، وهكذا في أعمال العبد وعباداته وما أشبه ذلك، فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- نحن مأمورون بالاتساء به، نعم هذه الأمور العادية لم نُتعبد بها، ولكن لكمال مرتبة أبي بكر -رضي الله تعالى عنه- كان يقتدي حتى في مثل هذا، وانظروا إلي قرينه وهو عمر -رضي الله تعالى عنه-، يقول أبو موسى: ثم رجعت فجلست، يعني عند الباب وقد تركت أخي يتوضأ يلحقني، أبو موسى له أخ سيأتي يتبعه كان يتوضأ، وله أكثر من أخ، له أخ يقال له: أبو بردة، فالشاهد أن أخاه كان يتوضأ، وسيلحق به، فأبو موسى يتمنى الخير لأخيه، وهكذا الشأن نتمنى الخير، هذه المراتب، هذه المنازل لأهلنا، لأقرب الناس إلينا، نحن نقدم لهم الطعام والشراب والمال وما أشبه ذلك، لكن أولى ما نحرص عليه ونقدمه هو مثل هذه الأمور التي تتصل بالدين، يقول: "وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان -يريد أخاه- خيراً يأتِ به، فإذا إنسان يحرك الباب"، يعني يستأذن، فقلت من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، -رضي الله عنه-، انظر كيف قدر الله مجيئهم وعلى هذا التتابع بحسب مراتبهم، ودرجاتهم، وانظر إلى ملازمتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يعني من غير ميعاد، وأين ذهب النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ ناحية قريبًا من قباء ومع ذلك يبحثون عنه، ويأتون ويجلسون معه، وكم كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: دخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.

يقول: "فقال: عمر بن الخطاب"، وهذا يدل على أن هذا الأدب في الاستئذان شائع يعرفه الصحابة -رضي الله عنهم-، لم يقل: أنا، ولم يدخل من غير استئذان، "فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسلمت عليه، وقلت: هذا عمر يستأذن، وإذا قال: هذا عمر، يكفي؛ لأن ذلك ينصرف إليه عند الإطلاق، فقال: ائذن له، وبشره بالجنة، فجئت عمر، فقلت: أذن ويبشرك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في القُفِّ عن يساره، هما وزيراه -عليه الصلاة والسلام- هذا عن يمينه، وهذا عن يساره، ودلّى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست، يعني عند الباب، فقلت: "إن يرد الله بفلان خيراً"، -يعني أخاه- يأتِ به، فجاء إنسان فحرك الباب، استأذن فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، وجئت النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبرته، فقال: ((ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه))، النبي -صلى الله عليه وسلم- لا ينطق عن الهوى، ولا يعلم الغيب، ولكن الله يطلعه على ما شاء، قال: ((مع بلوى تصيبه))، يقول: فجئت، وقلت: ادخل ويبشرك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالجنة مع بلوى تصيبك، يعني مصاحبة لذلك، على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القُفَّ قد ملئ، وفي بعض الروايات أنه قال حينما بشره بذلك قال: "الله المستعان"، ودعا بالصبر، قال: "اللهم صبراً"، يقول: "فوجد القُفَّ قد ملئ، -البئر صغير ما فيه مكان له- فجلس وجاههم من الشق الآخر، لم يجلس معهم في القف، يقول سعيد بن المسيب من التابعين: "فأولتها قبورهم"، متفق عليه، يعني جلس على القف الثلاثة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر فهؤلاء دفنوا جميعاً في حجرة عائشة -رضي الله عنها-، عثمان كان في ناحية عنهم فلم يدفن معهم في الحجرة، يقول سعيد بن المسيب: "فأولتها قبورهم"، لاحظ هنا التأويل ليس على رؤيا في المنام، هذا على أمر واقع في الحقيقة، فهذه الوقائع في الخارج أحياناً يكون لها تأويل، وهذا يدخل في جنس الفراسة، يعني ليس من تعبير الرؤيا، وإنما هو من جنس الفراسة، "فأولتها قبورهم"([[1]](#footnote-1))، متفق عليه.

فهذا الشاهد في هذا الحديث هو أنه بشرهم، بشِّره بكذا، قال: وزاد في رواية: "وأمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحفظ الباب"، وفيها أن عثمان حين بشره حمد الله تعالى، ثم قال: "الله المستعان"، فالتبشير هذا ورد فيه أحاديث متعددة أيضاً غير هذا، وجاء في حديث آخر يشبه ذلك لكن عن غير أبي موسى -رضي الله عنه-، جاء في غير حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- جلس على بئر، وكذلك -عليه الصلاة والسلام- دلّى رجليه بالبئر، ثم جاء أبو بكر ثم جاء عمر، كل هذا فيمكن أن يحمل ذلك -والله أعلم- على تعدد الوقائع، فهذا يرويه أبو موسى وهو الذي كان على الباب، وفي بعضها أن الذي كان على الباب غير أبي موسى، في بعضها بلال، وفي بعضها من رواية غير أبي موسى -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

1. **- أخرجه البخاري، كتاب أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لو كنت متخذا خليلا))، برقم (3674)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب من فضائل عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، برقم (2403).** [↑](#footnote-ref-1)